لا تحـــزني ...

بقلم جورج وغريس

لا تحزني يا سيدتي . فهكذا شاء القدر أن يدفع بك الى محيط هذا العالم ذرة مضطربة من ذراته التي لا تستكين ولا تهدأ . .

كلما حضرني أمرك أيتها السيدة ، شعرت بالألم يحز في قلبي ، وأحسست بالحياة كلمة غامضة في سجل مبهم ، ورأيت السعادة كذبة هائلة انحدرت من شفاه الأبالسة الى آذان هذه الأجيال التعسة الحالمة . .

لا تحزني أيتها السيدة الكريمة ، وكفكفي دمعك لأنك لست بمستطيعة أن تغطي الأفق الوسيع بكفك الصغير ، ولست بقادرة أن تحولي دون الريح وهبوبها ، أو النهر وجريانه . .

قبل أن تغرب شمس اليوم رافعة بأشعتها أوزار العالم وأوحاله لتقدمها الى صاحب العرش الأعلى . . . جاءني طفلك الصغير ، وكأن أحزان العالم قد وسعها قلبه الغض وهو يلهث من التعب ، وأخذ يبكي ويقول لي في كلمات يقطعها البكاء : « تعال لتخفف عن أمي . . . إنها حزينة من الصباح . . . إنها طريحة الفراش . . . باكية منتحبة ... وكلما سألتها السبب قالت : إن أباك لم يعد . . . فمن يكون أبي ؟ ومتى يعود . . ؟ إنني لا أفهم ما تقوله أمي . . »

فيا رحمة الله أدركيني . . . بأي لسان ينطق هذا الطفل . . ؟ أتستطيع ملائكة الرحمة أن تظل واجمة ساكنة ؟ أتظنين يا سيدتي أن الرياح حملت فيما تحمل تلك الكلمات التي نطق بها هذا الصبي البريء . . . ؟ كلا بل إنها ستبقى خالدة في نفسي ما بقيت . . . وستظل حائمة في فضاء هذا العالم لتصرخ في آذان الجيل بعد الجيل أن الانسانية ما وجدت إلا لتشقى ، وأنه ما من أرض إلا وزرعت فيها التعاسة ، وما من حاصد فيها إلا وهو للبؤس رهين . .

من يقول لطفلك أيتها السيدة الحزينة إن أباه هو الشر الذي ولد الخير ، والحبة النتنة التي أنبتت الزرع الجميل ، والحشرة القذرة التي انبثق منها الشهد ، والريح الخبيثة التي خلفت النسمة الطيبة ، والغيم الحالك الذي بعث بهجة الأرض ، وهو اليد التي دفعت به الى الحياة . ثم تراجعت متخفية كاليد السارقة التي تأخذ غادرة ولا تعترف بعطاء . . .

من يقول لطفلك يا سيدتي إنه ما من وليد من أمثاله إلا وله أب يرعاه بعنايته . أما هو فيتيم وإن كان أبوه حياً يرزق ، ولكنه يشاء اليتم لابنه ويريد العقم لنفسه ، وليس وا أسفاه في قوانين الأرض ما يرد تلك المشيئة أو يمنع تلك الارادة ، وليس وا أسفاه في نتاج الانسانية بعد جهاد القرون ما يخفت أنين الطفل وهو يسائل الحقيقة « من يكون أبي . . . ؟ »

يا سيدتي الحزينة — خففي عن نفسك فما أردت أن أثير — أشجانك . . . دعي الماضي يمر أمامك كالأطياف السريعة . . . ماذا يؤلمك وماذا يبكيك ، وأنت ربيبة الألم ووليدة البكاء ؟ . . . لقد كنت فتاة في منزل أبيك تقاسين من غلظته ، وتعانين من زوجته ، وتشكين فراق أمك المطرودة البعيدة . . . وكما خرج موسى من أرض مصر ، خرجت أنت من سجن أبيك إلى دار زوجك ، ولكنك لم تجدي في صحرائه مَنّاً ولا سلوى . . فمسكينة أنت أيتها السيدة . . لقد رضعت الشقاء ، والشقاء ما زال في أحضانك رضيعاً يترعرع . . . ورشفت الكأس وثمالته أشد مرارة . . .

مسكينة أنت أيتها السيدة . بل مسكينة كل امرأة تعيش في كنف زوجها الغاصب ، لأنها لا تستطيع أن تلامس أطراف السعادة ولو كانت الجنة تحت قدميها . . . غريب أمر الرجل في هذه الحياة ، خلق الله له المرأة ليأتنس بها فخلق هو لها الوحشة ، وجعل الله له القوة ليحمي ضعفها فنازلها بقوته . . . ومنذ انحدر آدم الى هذه الأرض والفضيلة والرذيلة تتعركان ، أما الحق فمخبوء أبداً . . .

لا تحزني يا سيدتي لأن الحزن لا يقدم من شأنك ولا يؤخر ، فانما أنت مخلوق ضعيف أسلمته يد الأقدار الى قبضة عاتية . . . وما دامت المرأة في دولة الرجال ، فسوف لا تعيش إلا ذليلة مسكينة . . . لأنهم يصنعون الشرائع ويحتكمون الى أنفسهم ثم يحكمون . . .

لا زلت أذكر يا سيدتي اليوم الذي أتيت فيه الى جوارنا ، وكان زوجك يتعهد هذا الوكر برعايته ، يبادلك الوفاء ويقاسمك السعادة ، ولكنه كان متكلفاً في هذا العناء فقبل أن يرى طفلك النور . انسل كاللص السارق ليعيش في الظلام . . . ومنذ ذلك الحين الى الآن وزوجك مقبور في حفرة الأحياء ، لا يتلمس النور ولا يتسقط الماء . . .

ما أغرب هذه الطبيعة البشرية وما أعجب أمرها . . . إذا أصابها التقلب والتلون نسيت ما فعله يومها فى أمسها ، وبَعُد خيرها عن شرها ، وتنكر حاضرها لماضيها . . . فاذا بصاحبها إنسان لا يستأنس ، وإن كان الحيوان قد بدأ ينسى ما فى أحط غرائزه من غدر وفتك وبطش . . .

قوى ياسيدتى ورفهى عن نفسك فلكل بداية نهاية ، ولا بد لحقك أن ينتصر اليوم أو غدا . لأن الألم الذى تعانى لم يحترق بمثل نارِه قلب من قبل ، والدمع الذى ينهمر من عينيك الغائرتين على وجهك الشاحب لم تدانه فى حرارته ما سكبته عيون الشقاء منذ ولادته . . .

للمريض آلام وللفقير آلام ، للمتعب آلام وللضعيف آلام ، للغريب آلام وللطريد آلام . . . وآلامك أنت أيتها الشقية المظلومة تسمو على كل ألم . فيجب أن تسمو نفسك بقدر سموها .

ويجب أن ترفعى رأسك فوق الطوفان الذى يغمرك ، وليكن مثلك فى ذلك مثل الحادى وراء الابل يقطع الفيافى على قدميه ، وقد أمضه التعب وأضناه الجوع وعضه الفقر ، وهو يغنى أنشودة الحياة والحب والفرح . . .

فى يكائك التواصل « قولى ما يقوله الفلاحون عن غيث السماء : هذا المطر كله حنطة » . . .

فى ظلامك الدامس تطلعى الى الخيوط الرفيعة البيضاء التى تتراءى لك من وراء الأفق ، وارفعى نحوها بصرك . . .

قوى يا سيدتى . ولا تجعلى للألم سلطاناً على نفسك . فقد فعلت بك العلة فعلها . . وارحمى طفلك الذى هوى على صدرك ليمزج أنات قلبه بدقات قلبك . . قومى ياسيدتى وهات يدك . . .

* * *

قلت هذا بجوار سريرها . . ثم مددت يدى الى يدها . فاذا بها باردة ! . . .

يا لشقاء نفسى ! . لقد كنت بكلماتى الأخيرة أخاطب الأرواح الحائمة حولى . . فى استطاعة المرء أن يذكر كل ما يجول بخاطره ، ولكنه ليس فى استطاعته أن يقول كل ما يبدو لناظره .

أيها الرجل . . لقد ماتت تلك المرأة !

اسكندرية — جورج رفريس

الأزمة كما يراها الاقتصاديون

بقلم عبد العزيز عبد الكريم

كانت الشعوب القديمة تشكو من القحط والمجاعات . قال الله تعالى فى كتابه العزيز فى سورة يوسف : « وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، يأيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون » . هذا ما رآه ملك مصر فى منامه ، فلم يعرف أحد تأويل رؤياه ، وكان يوسف حينئذ فى السجن ، فاستدعاه الملك واستفتاه فى أمر الرؤيا ، ففسر يوسف المنام قائلاً له : إنه سيمر عليكم سبع سنين خصبة ، فازرعوا فيها واخزنوا ما زرعتم وهو فى سنابله إلا قليلاً مما تأكلون ، ثم يعقبها سبع سنين مجدبة ، تأكلون فيها مما ادخرتم .

* * *

وقد تطورت الآن وسائل المعيشة وأحوالها ، وتبدلت طرق الكفاح فى سبيل العيش ، وارتقت الزراعة والصناعة والتجارة ؛ فنشأت بازاء هذا التبدل مشاكل جديدة ، وظهرت معضلات خطيرة . وأشد ما نعانيه الآن من النظام الاقتصادى الحالى هو الأزمة التى انتابت العالم بأسره ؛ وقد خلقت للعالم مشاكل عديدة لا تنحل ولا تزول إلا بالسلاح .

الأزمة هى اضطراب طرأ فى التوازن الاقتصادى ؛ ولها أعراض وعلامات تشابه أعراض الأمراض التى تصيب الانسان ، فبعض الأزمات يقتصر على بلد واحد ، وبعضها وبأى يتنقل فى أنحاء العالم كمرض الكوليرا .

* * *

عرف الاقتصاديون بعد طول البحث أن ظواهر الأزمة وأعراضها هى هى فى كل الأزمات تقريباً . وأول ما يشير إلى نشوء الأزمات تناوبها ؛ فقد رؤى أنها تتبع بعضها بعضاً فى القرن التاسع عشر بنظام منتظم عجيب ، فبين كل أزمة وأخرى مدة تبلغ عشر سنوات أو اثنتى عشرة سنة ، نصفها يمثل حالة صعود ،